المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 15-10-2006 العـــدد : 2207
الصفحـات : 23 المسلسل : 141

العمران وهيبة بيت الله الحرام

عند بداية التأسيس للمملكة العربية السعودية حرص المؤسس الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه على توجيه جل اهتمامه لرعاية الحرمين الشريفين وتطوير المسجدين المقدسين وسار أبناؤه الملوك على نفس الطريق حتى وصلت المسؤولية إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله حفظه الله ، والذي يحرص كل الحرص على تطوير مكة المكرمة والمدينة المنورة وتطوير العمارة في المسجدين وتقديم كل الإمكانيات الداعمة لتطوير الحرمين الشريفين وتطوير المشاعر المقدسة وعلى وجه الخصوص منطقة (منى) وللحقيقة تبذل حكومة المملكة العربية السعودية جهوداً عملاقة وتسخر بلايين الريالات لخدمة المسلمين في مكة والمدينة ، وهي رعاية لم يذكر لنا التاريخ مثلها بالحجم والمستوى وتسخر الحكومة السعودية كافة إمكانياتها البشرية والمادية لخدمة المسلمين في تأدية مشاعرهم. ورغم كل هذه الجهود الجبارة إلا أن هناك تطلعات وآمالاً كبيرة من المسلمين لدى خادم الحرمين الشريفين صاحب العطاء الكبير والمشاعر الفياضة وراعي وخادم الحرمين الشريفين بمناسبة تواجده في مكة المكرمة في العشرة الأواخر من شهر رمضان المبارك كعادته السنوية أن يضع إستراتيجية بعيدة المدى لتوسعة الساحات المحيطة بالحرم المكي، وينطلق هذا المطلب من الوضع القائم حالياً داخل وخارج الحرم المكي الشريف، فمنذ اليوم الأول من رمضان والحرم الشريف والساحات المحيطة مكتظة بالمُصلين والمعتمرين والمسلمين حفظهم الله وهم في تزايد مستمر سواء من داخل الوطن سعوديون ومقيمون أو معتمرون وحجاج من خارج المملكة ، ورغم كل الجهود التي تبذل في زيادة السعة الإستاتية حول الحرم إلا أنها تمثل في حد ذاتها المشكلة الأساسية في أزمة الساحات حول الحرم في مكة المكرمة، وهي قضية سبق وأن طرحتها وأنطلق في إعادة طرحي اليوم من المصلحة العامة ولا غير. رغم أن طرحي هذا قد سبب لي في الماضي خصومة مع البعض ورغم تعدد الآراء ورغم قناعة البعض بآراء المستفيدين إلا أنني مازلت مقتنعاً بالحلول الطويلة المدى فمسؤولية المخطط أن يأخذ في الاعتبار المصلحة العامة للأجيال القادمة وإذا كان أصحاب الرأي الآخر الداعم لزيادة المباني وناطحات السحاب حول الحرم المكي يعتقدون بأن آراءهم هي الصائبة لمعالجة مشكلة الإسكان في الوقت الحاضر فإنني أدعو الله لهم بطول العمر عشرين عاماً أخرى ليروا بأم أعينهم الأخطاء التي قد يرتكبونها اليوم وإذا كان البعض منهم يستمتعون بالصلاة في منازلهم المطلة على الحرم أو على الساحات الضيقة حول الحرم فإنهم لا يعلمون معاناة المسلمين المصلين في داخل الحرم وفي الساحات نتيجة الاكتظاظ الكبير في عدد المصلين. وإذا افترضنا أننا قبلنا آراءهم يبقى السؤال الذي أوجهه لهم: أين ذلك من هيبة بيت الله؟ البيت الذي يتجه إليه المسلمون في كل صلاة ومن أي موقع في العالم أليس لهذا البيت هيبة عظيمة تدفعنا إلى عدم التطاول عليه بالبنيان الذي يُلفت انتباه الطائفين حول الكعبة وهي حقيقة أتمنى على أصحاب الرأي الآخر أن يطوفوا حول الكعبة في هذه الأيام ليروا كيف أن العمران الحالي والسابق يلفت انتباه الطائفين وهم في خشوعهم وفي صلاتهم حول الكعبة. وهي حقيقة لمستها شخصياً عندما كنت أطوف مع أهلي الأسبوع الماضي ولمست فيها بعض مشاعر المصلين في الساحات لصلاة التراويح والتهجد.

نعم إنها قضية حتى وإن اعتبرها البعض بأنها تنمية عمرانية لمعالجة مشكلة إسكانية لأداء مشاعرهم الإسلامية. إن من يقول إن التنمية العمرانية حول الحرم توفر السكن والمصلى للساكنين حيث يجوز لهم الصلاة في غرفهم وهذا وإن كان صحيحاً لكنه يتنافى مع رغبات ومعتقدات الحجاج والمعتمرين القادمين من خارج المملكة والقاصدين الصلاة في البيت والساحات المجاورة. وإذا علمنا بأن الصلاة في مكة المكرمة وفي حدودها (بمائة ألف صلاة) إن شاء الله أتساءل لماذا لا تنتقل المباني العملاقة إلى داخل حدود مكة بعيداً عن

> إن البعد الاجتماعي والأمني والخدمي في التخطيط العمراني يعتبر أساساً يعتمد عليه المخططون، وأهم خطط ينبغي التركيز عليها هي خطط الأمن والسلامة...

جوار الحرم الشريف وتحول جميع المباني إلى ساحات مجاورة للحرم تحسباً في يوم من الأيام لأي توسعات مستقبلية. إن هذه الثورة العمرانية حول الحرم تحتاج إلى إعادة نظر وتحتاج إلى لجنة عليا محايدة بعيدة عن المصالح لتحكم في هذا العمل الذي وإن قصد به مصلحة إسكان المسلمين إلا أنه قد يؤذي المسلين في أمور أخرى مثل تكدسهم في بقعة واحدة مما يؤثر على وسائل الأمن والسلامة ويؤثر سلباً على حركة المرور وحركة البشر وسط بقعة ضيقة حالياً وستكون أكثر معاناة مستقبلاً.

إن البعد الاجتماعي والأمني والخدمي في التخطيط العمراني يعتبر أساساً يعتمد عليه المخططون وإن التسابق على إنشاء المشاريع العمرانية حول الحرم دون خطة ربط خدمي بينها قد يؤدي إلى كارثة مستقبلاً ، فخطط الخدمات يجب أن تكون متكاملة ، وأهم خطط ينبغي التركيز عليها هي خطط الأمن والسلامة.

أخي القارئ لقد سبق وأن طرحت هذا الموضوع في أعوام سابقة وأعيد طرحه اليوم ونحن في العشر الأواخر

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 15-10-2006 العـــدد : 2207
الصفحـات : 23 المسلسل : 141

عبدالله صادق دحلان*

من رمضان ونحن نحتفل بليلة القدر إن شاء الله ونحتفل بمشاركة ولي أمرنا الملك عبدالله خادم الحرمين الشريفين والمسلمين في صيامهم وصلاتهم وتهجدهم في العاصمة الإسلامية مكة المكرمة ، وهو الأحرص على المسلمين وهو المرجع لكل ما نختلف عليه في الفكر أو الرأي. ومن المؤكد فإن جميع الأطراف التي نتفق أو نختلف معها تبحث عن المصلحة العامة وتعمل لخدمة المسلمين ورغم معرفتي الشخصية بأن مقالتي اليوم سوف تشعل حماس بعض من تعنيهم وقد تدفع البعض الآخر لتوجيه إمكانياتهم للرد على وجهة نظري اليوم ، إلا أنني أؤكد للجميع بأن هذه ليست وجهة نظري وحدي. وهي قضية أعيد طرحها، داعياً الله عز وجل أن تجد طريقها إلى الدراسة العاجلة والتريث في إنشاء المزيد من المشاريع العمرانية حول الحرم حتى يتم وضع خطة وإستراتيجية للإسكان خارج جوار الحرم وداخل حدود مكة المكرمة.

وفي نهاية قضيتي اليوم أتوجه إلى أصحاب الشأن من أجل تطوير مكتبة الحرم المكي الشريف وهي الأولى بجيرة الحرم المكي الشريف فهي أهم المكتبات في العالم الإسلامي وهي أعرق مكتبة في أقدس البقاع في مهبط الوحي في بلد قبلة المسلمين والتي يعود تاريخ إنشائها حسب ما ورد في كتب التاريخ إلى القرن الثاني من الهجرة في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي عام 160هـ تقريباً. وفي العهد السعودي حظيت هذه المكتبة باهتمام الملك عبدالعزيز رحمه الله وشكل لها لجنة من العلماء لدراسة وضعها وحالها وفي عام 1357هـ قرر الملك عبدالعزيز تسميتها مكتبة الحرم المكي الشريف وأمر رحمه الله بتزويدها بمجموعة من الكتب الدينية والعلمية المتخصصة في أمور الشريعة الإسلامية وغيرها من العلوم. ثم توالت اهتمامات المسؤولين بها إلا أنه وللأسف الشديد لم تشملها التنمية الحديثة مثل تنمية العمران حول الحرم. ونتيجة ضعف المخصصات والميزانيات المعتمدة ونتيجة التوسعة حول الحرم أخرجت مكتبة الحرم المكي الشريف من جوار الحرم الشريف موقعها ومكانها الذي ينبغي أن تكون فيه لأنها موجهة للمسلمين وتم استبعادها من مكانها الأساسي إلى أطراف مكة المكرمة في مبنى متواضع جداً وبإمكانيات متواضعة لم تلامسها التقنية المتطورة والحديثة في مجال المكتبات والتوثيق ، فهل تصل دعوتي اليوم بتبني تطوير مكتبة الحرم المكي الشريف وإعادتها إلى موقعها ومكانها الذي يليق بها بجوار الحرم المكي الشريف ، وتخصيص ميزانية خاصة لتطويرها ودعم مقتنياتها وإن شاء الله يكون في ذلك أجر كبير عند الله فالمكتبة علم ينتفع به.

* كاتب اقتصادي سعودي
dahlan@alwatan.com.sa